

بلادي شقة مؤجرة

نزار قباني

هذي البلاد شقة مفروشة ، يملكها شخصٌ يسمى عنتره ...
يسكر طوال الليل عند بابها ، و يجمع الإيجار من سكانها ..
و يطلب الزواج من نسوانها ، و يطلق النار على الأشجار ...
و الأطفال ... و العيون ... و الأتداء ... والصفائر المعطره ...

هذي البلاد كلها مزرعةٌ شخصيةٌ لعنتره ...
سماؤها .. هواؤها ... نساؤها ... حقولها المخضوضره ...
كل البنائيات - هنا - يسكن فيها عنتره ...
كل الشبابيك عليها صورةٌ لعنتره ...
كل الميادين هنا ، تحمل اسم عنتره ...
عنترهٌ يقيم في ثيابنا ... في ربطة الخبز ...
و في زجاجة الكولا ، و في أحلامنا المحتضره ...
مدينةٌ مهجورةٌ مهجره ...
لم يبق - فيها - فأرةٌ ، أو نملةٌ ، أو جدولٌ ، أو شجره ...
لاشيء - فيها - يدهش السياح إلا الصورة الرسمية المقرره ..
للجنرال عنتره ...

في عربات الخس ، و البطيخ ...
في الباصات ، في محطة القطار ، في جمارك المطار ..
في طوابع البريد ، في ملاعب الفوتبول ، في مطاعم البيتزا ...
و في كل فئات العملة المزوره ...
في غرفة الجلوس ... في الحمام .. في المراض ..
في ميلاده السعيد ، في ختانه المجيد ..
في قصوره الشامخة ، الباذخة ، المسوره ...
ما من جديدٍ في حياة هذي المدينة المستعمره ...

فحزننا مكرراً ، وموتنا مكرراً ، ونكهة القهوة في شفاها مكرره ...
فمنذ أن ولدنا ، ونحن محبوسون في زجاجة الثقافة المدوره ...
ومذ دخلنا المدرسة ، ونحن لا ندرس إلا سيرةً ذاتيةً واحده ...

تخبرنا عن عضلات عنتره ...
ومكرمات عنتره ... و معجزات عنتره ...

ولا نرى في كل دور السينما إلا شريطاً عربياً مضجراً يلعب فيه عنتره ...
لا شيء - في إذاعة الصباح - نهتم به ...
فالخبر الأول - فيها - خبر عن عنتره ...
والخبر الأخير - فيها - خبر عن عنتره ...
لا شيء - في البرنامج الثاني - سوى :
عزف - على القانون - من مؤلفات عنتره ...
و لوحة زيتية من خربشات عنتره ...
و باقة من أردى الشعر بصوت عنتره ...

هذي بلاد يمنح المثقفون - فيها - صوتهم ، لسيد المثقفين عنتره ...
يجملون قبحه ، يؤرخون عصره ، وينشرون فكره ...
و يقرعون الطبل في حروبه المظفره ...
لا نجم - في شاشة التلفاز - إلا عنتره ...
بقده المياس ، أو ضحكته المعبره ...
يوماً بزى الدوق و الأمير ... يوماً بزى الكادح الفقير ...
يوماً على طائرة سميت .. يوماً على دبابة روسية ...
يوماً على مجنزرة ...
يوماً على أضلاعنا المكسرة ...

لا أحد يجرو أن يقول : " لا " ، للجنرال عنتره ...
لا أحد يجرو أن يسأل أهل العلم - في المدينة - عن حكم عنتره ...
إن الخيارات هنا ، محدودة ، بين دخول السجن ، أو دخول المقبره ..
لا شيء في مدينة المائة و خمسين مليون تابوت سوى ...
تلاوة القرآن ، و السرادق الكبير ، و الجنائز المنتظره ...
لا شيء ، إلا رجل يبيع - في حقيبة - تذاكر الدخول للقبر ، يدعى عنتره ...
عنتره العبسي ... لا يتركنا دقيقة واحدة ...
فمرة ، يأكل من طعامنا ... و مرة يشرب من شرابنا ...
و مرة يندس في فراشنا ... و مرة يزورنا مسلحاً ...
ليقبض الإيجار عن بلادنا المستأجرة